الشرق المثير للتساؤل

شعار: يجب أن يكون هذا هو العصر الذي نسمو فيه على احتياجنا إلى دين.

(سلمان رشدي: ٦ مارس عام ١٩٩٩ في كلامه عن الألفية الثالثة).

- ١ -

يمكن أن نلاحظ وجود مجموعتين من الطلبة الغربيين المعتنقين للإسلام، فهناك من أدى اعتناقه إلى الإسلام إلى تحول هائل في شخصه، حتى إنه أصبح يعيش بين عالمين، مثل عبد الهادي كريستيان هوفمان. والبعض الآخر ممن قرأ كتب Karl May في صباه، اكتشف نفسه شغفاً شديداً بكل ما هو عربي وإسلامي وشرقي، فاتجه إلى دراسة علوم الإسلام. وهم يحاولون الآن تحقيق الإسلام بدقة واتباع أدق تفاصيل سنة[١] الرسول ﷺ في أنفسهم وأسلوب حياتهم، حتى في اتباعهم الهجرة[٢]، إذ إنهم يهاجرون إلي العالم الإسلامي لأسباب عقائدية. وبعض هؤلاء من معتنقي الإسلام، يبالغون في التعرب في ملبسهم ومطعمهم ولغتهم وإيماءاتهم، حتى إن بعض المسلمين يتهمونهم

(١) السنة هي المصدر الثاني للدين الإسلامي بعد القرآن، وهي تضم مجمل أقوال وأفعال الرسول ﷺ وما سمح به وما نهى عنه. وتُعَدّ السنة بناء على هذا مثالاً يقتدي به المسلم.

(٢) الهجرة هي خروج الرسول محمد ﷺ ومعه حوالي ٢٠٠ من أتباعه عام ٦٢٢م من مكة قاصدين يثرب التي تبعد ٤٠٠ كم من مكة، والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم المدينة، حيث استطاع المسلمون لأول مرة أن يمارسوا إيمانهم بلا خوف أو اضطهاد، ويعملوا على إقامة أول دولة لهم. ولا يزال أمر الهجرة هذا ملزمًا للمسلم الذي لا يتمكن من إقامة شعائر دينه في البلد المقيم به، لأسباب وعراقيل تضعها الدولة وتمنع المسلم من ممارسة دينه.

بالرومانسية الشديدة في تناولهم للإسلام، ويتهمونهم بأنهم يتجاهلون عالمية الإسلام التي لا يحدها زمان أو مكان. بل إن محاولتهم للتعرب هذه تزيد من تأكيد حكم مسبق يطلقه الغرب ويتبناه، مفاده أن للإسلام دين قبلي عربي، هذا بالرغم من وجود أعداد من المسلمين الهنود تفوق أعداد المسلمين العرب. أما بالنسبة للـ ٢٥٠ مليون مسلم إندونيسي وماليزي وتايلاندي وفليبيني، فحدث ولا حرج [*].

ـ ٢ ـ

وبادئ ذي بدء، نود أن نستمع إلى المسلم الغربي ـ الشخصية المتخيلة ـ وهو يوضح الأسباب الشخصية لرغبته في الهجرة إلى بلد إسلامي. ما العوامل الحضارية ـ التي تكاد تزيد عن عشرين عاملاً ـ والتي تجعل أحد المجتمعات الإسلامية جذاباً إلى درجة الرغبة في الحياة هناك؟ كيف يعتقد أوروبي أن بمقدوره أن يعيد شحن بطاريته الأخلاقية والروحية في أحد المجتمعات الإسلامية، وهناك فقط، وأن يعيش الإسلام في هذه البقعة وحدها؟

هيا نستمع إليه:

في مقابل العائلة الغربية الصغيرة غير المترابطة، تجد العائلة الكبيرة الممتدة، التي تربطها أواصر وثيقة تمثل لحسن الحظ اللبنة الأساسية الصلبة للمجتمع، ولا ينتقص من أهمية هذا أن ظاهرة العائلة الممتدة لا تقتصر على العالم الإسلامي فحسب.

(*) من جنس الملايو.

وبالرغم من أن الضغوط التي تتعرض لها العائلة المسلمة بهدف تغريبها، والمتمثلة في السياحة والأفلام الغربية المتحررة (والتي تزين الطلاق) وتحسن الأحوال المعيشية التي تغني عن التكافل، وتزيد من حرية النساء، فإنها - أي الأسرة - تتكاثف وتتماسك عادة في المجتمعات الإسلامية، حتى يشعر أفرادها بالدفء العاطفي والحسي، فتكون شكوى البعض في زيادة الاهتمام والرعاية وليس في غيابها.

ونرى حتى في المجتمعات النفطية المسلمة، أي مجتمعات الوفرة، اجتماع أعضاء العائلة من الذكور أسبوعياً في منزل كبيرهم فيما يطلق عليه مجلس العائلة.ولقد رأيت في البحرين ما يزيد على ٨٠ شخصاً في مثل هذه المجالس (لا ينتمي كل هؤلاء إلى العائلة بمفهومها الضيق المحدود). وطالما يتكسب أحد أفراد العائلة، فلا يجوع فرد منها.

يتم دائماً التفكير في الشيوخ والعجزة في العائلة، كما يتم أخذ الأعداد الغفيرة من الأطفال في الحسبان في أي أمر من أمور العائلة أو مصالحها.

فحتى في تركيا نفسها، ما كان من الممكن أن تجد قبل عشر سنوات داراً للمسنين. كما يرفض - بشدة - ملك المغرب إلى الآن إقامة دار للمسنين؛ لأنه يرى في ذلك مؤشراً لانهيار الضمانة الاجتماعية التي تؤمنها العائلة للفرد.

هناك حقيقة ثابتة هي: تمثل العائلة في العالم الإسلامي - سواء ثرية

أو فقيرة ـ النسيج الاجتماعي الأساسي. وهذه هي المكانة التي كانت الأسرة في المغرب تحتلها يومًا ما قبل أن تتولى الدولة عن الأسرة الأعباء التالية: تأمين المرضى، والعاطلين عن العمل، وأصحاب المعاشات، ومن تعرض لحادثة، وكل من يحتاج إلى رعاية.

أما في الأسرة المسلمة، فيعيش الجميع معاً، يأكلون سوياً، يصلون معًا، يحتفلون مجتمعين، يحزنون معًا، ويعايش بعضهم بعضاً حتى في الوفاة، ويتم كل هذا دون ممارسة ضغوط من أي فرد من أفراد العائلة لقمع الشخصية المتفردة، فالعائلة مجتمعة تساند المواهب الفردية. وهناك أمثلة واضحة، مثل تضامن العائلة لإيفاد أحد أفرادها الموهوبين لاستكمال دراسته في الخارج.

ولا تغفل طبيعة العائلة المذكورة عن الضيافة ومظاهرها، خاصة أن الإسلام يدعو إلى إيواء الضيف وإكرامه لمدة ثلاثة أيام بحد أدنى (*)، وتلبية لتلك الدعوة، نشأت أساليب ومظاهر ضيافة لا يستطيع الغربي أن يفهمها، خاصة أنه مرتبط ارتباطاً شديداً بخطط منزلية ثابتة. (كان عليَّ لفرط كرم الضيافة أن أثير انتباه الزائرين الرسميين من الألمان إلى الجزائر والمغرب في أثناء شغلي لمنصب السفير في هذين البلدين، إلى عدم إبداء الإعجاب الشديد، وبطريقة ألمانية، فيما تقع عليه أعينهم عند أحد مضيفيهم. أما من لم يستمع إلى هذا الرأي، فكان يجد ما جذبه

(*) ففي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يومه وليلته، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان وراء ذلك فهو صدقة». البخاري [٦١٣٥] وأبو داود [٣٧٤٨].

وأبدى إعجابه به ـ مثل كتاب قيم، لوحة جميلة أو تحفة ثمينة ـ في حقائبه).

عادة ما يقوم المسلم بإحضار أكثر مما يطلبه منه أحد معارفه، فإذا كان المطلوب شراء أسطوانة موسيقية واحدة فإنك تتلقى اثنتين. إذا ما اصطحب أحد الأفراد شخصاً إلى السوق لشراء طعام أو شراب لمنزله، فلن يكون مستغرباً أن يهدي شيئاً لمنزل صاحبه.

يمثل الإحساس بالعائلة وكرم الضيافة، الخلفية للدفء الإنساني والاستعداد التام لمساعدة المحتاج، التي تشع من المجتمعات الإسلامية: شعور الإخاء الذي يسود بين أبناء الأمة (٣). لم يسمع معظم المسلمين عن ضرورة أن يحب المرء جاره كما يحب نفسه، ولكنه قرأ في القرآن أن المسلمين إخوة (٤).

لذلك يعايش الأوروبي هذه الطيبة والتسامح الذي يتعامل به المسلمون في المناطق الإسلامية كتجربة خاصة تجلب له سعادة غامرة، وينتابه إحساس غامر بالدفء الإنساني وشعور الناس بعضهم ببعض. وهذه الحقيقة تُعَدّ أحد الأسباب التي تدفع بالكثير من الفليبينيين الكاثوليك ممن يعملون بدول الخليج العربي إلى اعتناق الإسلام (٥).

---

(٣) الأمة تعبير يصف جميع المؤمنين بأنهم إخوة بعضهم لبعض.

(٤) لقد جاء في القرآن في سورة الحجرات الآية ١٠ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ .

(٥) تعمل منظمات كثيرة لتحقيق هذا الهدف، وتتعاون فيما بينها، مثل التبليغ الإسلامي في قطر والبحرين والإمارات وDiscover Islam.

فالمسلمون - وإن لم يسبق لهم معرفة بعضهم بعضاً - يتعانقون عند السلام، ويتحدثون بألفة شديدة دون لهجة خطاب رسمية، من الممكن أن نتوقعها من جماعة متقوقعة على نفسها، وليس من جماعة دينية يفوق تعدادها مليار نسمة. ولا نستطيع أن نغفل عن حقيقة أن الاضطهاد الذي يتعرض له المسلم في بعض المناطق غير الإسلامية، تدفعه إلى الاحتماء[٦] بالمسلمين الموجودين معه، مما يؤدي بالتالي إلى زيادة ارتباط المسلمين بعضهم ببعض. لكن إذا بادر المسلم فسأل مسلماً آخر شيئاً، ففي الغالب يكون هذا الشيء هو الدعاء له.

ويتجلى شعور المسلمين بالإخاء في حبهم لبذل المال بعضهم لبعض، هذه الظاهرة التي تسجل في الولايات المتحدة الأمريكية أرقامًا قياسية. فبجانب أموال الزكاة - التي تُعَدّ أحد أركان الإسلام الخمسة[٧] - هناك الكثير من الصدقات التي يدفعها المسلمون في أمريكا لأعمال الرعاية الاجتماعية. فالمسلم يعلم علم اليقين أنه لا يجوز له شرعاً أداء مناسك الحج - وهو أحد أركان الإسلام الخمسة - إذا كان جاره في حاجة إلى المال. وتبلغ حصيلة أي حفل عشاء يضم من ٨٠ - ١٢٠ مدعواً مقام لجمع تبرعات لصالح شأن من شؤون الإسلام من ١٠٠ ألف دولار إلى ٥٠٠ ألف

---

(٦) إنني أشير هنا إلى الوضع المهين لـ ٨٠ مليون مسلم في الهند بسبب تجاهل منظمات حقوق الإنسان لهذا الوضع ومخاطره.

انظر عمر خاليدي: Indian Muslims since Independence, Vikas Publishing New Delhi 1996 «الهنود المسلمون منذ الاستقلال».

(٧) ففي الحديث: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً». البخاري [٨].

دولار في بعض الأحيان. وهناك في الولايات المتحدة الأمريكية أطباء مسلمون ألزموا أنفسهم منذ أن كانوا طلبة طب ـ بدفع ١٠٪ من دخلهم لصالح شأن من شؤون الإسلام، وهذا مدى الحياة.

لكن حب بذل المال لا يفسِّر وحده ظاهرة بناء المساجد المتنشرة في العالم الإسلامي. ولكن يضاف إليه دافع آخر وهو حديث عن الرسول ﷺ مفاده: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله له مثله في الجنة»[٨]؛ لذلك تم في تركيا في العقد الأخير بناء مسجد كل ست ساعات بالجهود الذاتية، أما الملك السعودي فهد بن عبد العزيز، فقد أقام من ماله الخاص ٦٠ مسجداً في العالم الممتد بين لوس أنجيلوس وروما.

يمثل هذا التضامن والشعور بالانتماء الذي يسود أمة المسلمين والذي يسمو فوق أي اعتبارات عرقية، حقيقة سياسية يمكن إبرازها في أي وقت.

هذا، وإن لم يستطع مسلم ـ يأخذ الأمور بشكل جدي ويتعامل معها بدقة ـ أن يزعم أن الإسلام نجح في القضاء نهائياً على أي تفرقة إثنية أو أحكام مسبقة يمارسها عرق ضد عرق آخر (فهناك الكثير من الأدلة والشواهد المريرة، ليس أقلها ما يحدث في موريتانيا) فإنه يستطيع أن يقول ـ هو لا يتجنى على الحقيقة ـ إنك لن تجد ديناً نجح في دحض

(٨) يتضح أجر وثواب بناء المساجد من الروايات الصحيحة التالية: فقد روت عائشة كما جاء في سنن أبي داود حديث رقم ٤٥٥ أن الرسول دعا إلى بناء مساجد في الأماكن المختلفة التي يستوطنها المسلمون. وبنى أبو بكر ـ أبو عائشة ـ أو ل مسجد «خاص» في مكة قبل الهجرة. أما عثمان بن عفان الخليفة الثالث، فروى عن الرسول قوله: «من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله». البخاري [٤٥٠]، مسلم [٥٣٣/٢٤].

العنصرية والتغلب عليها بالدرجة التي حققها الإسلام (انظر فصل «عمى الألوان»).

وتؤدي فريضة الحج وظيفة هائلة في هذا الشأن، حيث تتلاشى فيها كل الفوارق بما فيها العرقية،فيتحول الحج إلى مهرجان لا ترى فيه اختلاف ألوان البشر، وكأن المرء مصاب بعمى ألوان، فلا يفرق بين لون وآخر، ولقد أدت تجربة حج واحدة بـ Malcolm X (مالكوم إكس) رئيس جماعة «أمة الإسلام Nation of Islam» الذي عرف عنه معاداته للسامية وللبيض، إلى أن يتبين أن جماعته «أمة الإسلام» الموغلة في العنصرية، تسير على الدرب الخاطئ. ومنذ تلك اللحظة، أصبح مسلماً سنِّياً حقيقياً، وانضم إلى كل من محمد علي وRap Brown ووارث محمد، وأسمى نفسه حاج مالك الشباظ (لقد دفع حياته ثمناً لهذا التحول)[٩].

ومنذ تلك الواقعة ظهرت أعداد كبيرة في المساجد العربية والهند وباكستانية، والمساجد السوداء تحاول إصلاح مسارها والعودة إلى الطريق القويم للشريعة الإسلامية. (نجد تفاصيل هذا في فصل: «إسلام صنع في أمريكا Islam made in USA».

نستطيع أن نقول إن الإسلام في مجمله يتسم بدرجة عالية من

(٩) (انظر Barboza u. Gardell. لقد تحول وارث محمد بن إليجا محمد، مؤسس أمة الإسلام، بعد وفاة ورحلة الحج إلى مكة، إلى مسلم سني يدعو أتباعه إلى الاندماج مع المسلمين البيض. أما Rap Brown، فقد تاب عن إجرامه وأصبح الآن بفضل تمكنه من اللغة العربية يزاول مهنة إمام.

المساواة بين البشر، ذلك أن القرآن ذكر أن المرء بتقواه وعمله وليس بغناه ونفوذه، ولا بحسبه ونسبه، ولا بجماله وشهرته [١٠].

وتتجسد فكرة مراعاة العمل الصالح والتقوى في أفضلية المرء إذا ما غاب الإمام الرسمي للجامع عن صلاة ما، فسرعان ما يتم اختيار من يكون بين المصلين أتقاهم وأعلمهم بشؤون دينهم، ولا يعتد بجنس أو عرق أو مال أو جاه في هذا الاختيار [*].

ولا ينفي هذا وجود مظاهر قليلة لملك وإمارة دنيوية في العالم الإسلامي متمثلة في الشيوخ والأمراء والملوك وأمرائهم الكثيرين، ولكنك لن تجد بلاطاً يذكرك ببلاط بيزنطة إلا في المغرب حيث لا يقبل أحد أيدي الملوك في إمارات الخليج على سبيل المثال، ولا يحني أحد رأسه عند المصافحة بالأيدي بل يرفعها شامخة.

ومن التجارب المؤثرة أن تشاهد بعض البدو في السعودية بملابسهم البالية وهم يحاورون ولي العهد الأمير عبد الله في مجلسه الأسبوعي، ويواجهونه برأيهم بل ويلوحون بشدة بأصابعهم في وجهه.

وتُماثل فكرة المساواة عند البدو والمنتشرة بين المسلمين فكرة أخرى، وهي الاحترام خاصة لمن هم أكبر سناً. هذه الفضيلة التي يُنَفِّر الغرب عنها بصفتها رذيلة. فالمسلم يتعلم منذ نعومة أظافره احترام الله وكلمته،

---

(١٠) تقول الآية ١٣ من سورة الحجرات: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وكذلك في أمر الزواج، على المسلم أن يفضل المؤمنة على الجميلة والغنية وذات النسب (النووي رقم ٣٦٤).

(*) ففي الحديث: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ... الحديث». مسلم [مسلم ٦٧٣/٢٩٠]، وأبو داود [٥٨٢]، والنسائي [٥٨٢]، والنسائي ٧٦/٢ .

القرآن، واحترام السلطة الأخلاقية للرسول، كذلك احترام مكانة الأب والأم، واحترام المعلم، وكل من هو أكبر منه سناً؛ حتى إن الأخ الأكبر (بالتركية أبيه) والأخت الكبرى (بالتركية أبله) يتمتعان باحترام الإخوة الأصغر سناً. هذا النهج في التعامل باحترام مع الأكبر سناً، والذي طالما تعرض في الغرب للنقد والتجريح، بل والاستهزاء، من الممكن أن يؤدي في حالات فردية إلى أن يسبق مكانة الفعل الحقيقي للإنسان، أو بمعنى آخر أن يتفوق العُمْر على القيمة الحقيقية للإنسان، خصوصاً أنه ليس من الضروري أن يتواكب العُمْر مع الحكمة، كما أن بالمدارس العديد من المعلمين التافهين.

لكن في آخر الأمر يضفي استعداد الناس لإبداء الاحترام سمة إنسانية على المجتمع الإسلامي، فكثيراً ما نفتقد - في ألمانيا مثلاً - هذا الاحترام، فنرى أحد التلاميذ يجلس فاتحاً فاه وهو يلوك العلكة(*)، وامرأة حاملاً لا تقوى على الوقوف، ولا يفكر أحد في أن يقوم ليجلسها مكانه.

هناك سلوك حميد آخر مرتبط بهذا الاحترام ينتشر في العالم الإسلامي، ألا وهو احترام الخصوصية، والذي تلحظه بدقة في مدن كمدينة فاس، تلك المدينة ذات المباني الشديدة الالتصاق بعضها ببعض. في هذه المدينة يستطيع كل إنسان أن يرى من سطح بيته بيوت الآخرين، بل أن ينظر كل إنسان داخل نافذة الآخرين، ولكن سرعان ما تتراءى للمرء حقيقة أن كل إنسان يحجب نفسه عن الآخرين ويحمي نفسه من أنظار

(*) العلكة: اللبانة.

الآخرين[١١]. إنني أرى عامة البيوت الإسلامية مبنية وفق معايير هندسية معينة؛ لتوفر الحماية والخصوصية لأصحاب هذه البيوت كمعطف من الفراء وحاشيته من الحرير. ودورات المياه المخصصة للرجال في العالم الإسلامي توفر خصوصية أكثر من مثيلاتها في الغرب، فكل حمام مغلق كما هو الحال للنساء فقط في الغرب.

وهناك ظاهرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة نفي الإسلام لأي هيراركية وإن لم يبد هذا لأول وهلة: ظاهرة دور الخطاب الشفوي في الحضارة الإسلامية.

فأول كلمة تلقاها محمد عام ٦١٠ من الوحي هي اقرأ (سورة العلق: ١ـ٥). اقرأ هذه لا تتضمن فعل القراءة فحسب، بل أيضاً التلاوة على الغير، أي وجوب توصيلها للغير، ومنذ تلك اللحظة غدت تلاوة القرآن فنًا رفيعًا وراقيًا، وأصبح حفظ القرآن مهارة تحظى بتقدير واحترام بالغين،وهي المهارة التي يحرص مئات الآلاف حتى اليوم على إتقانها[١٢].

---

(١١) لقد صورت فاطيما مرنيسي الحياة في بيت في فاس له خصوصيته وعالمه الخاص المغلق مصحوبًا بحنين جميل.
انظر: Mernisi, Dreams of Trespass, Tales of a Harem Girlhood, Addison - Wesley Reading, MA, USA, 1994.

(١٢) لقد تيقنت من خلال زيارتي لمدرسة تحفيظ القرآن في واد مدني (تبعد ٢٠٠ كم عن الخرطوم جنوباً وتقع بين النيلين الأبيض والأزرق) قمت بها منذ فترة قصيرة، إنهم يقومون بالتدريس هنا كما كان يحدث منذ ٤٠٠ عام مضى. لكن إذا ما تمكن مسيحي من حفظ العهد الجديد، فإن هذا يكون أمراً عجيباً يصور على أنه حدث استثنائي ومدو كما حدث للإنجليزي David Bathurst الذي حفظ العهد الجديد (FAZ١٩٩٨/٦/٣٠).

ولكن بالرغم من هذا، فإنه من قبيل الفكر المضلل أن نتفق مع Hans Küng في رأيه، حيث يدعي أن تجسد الله في يسوع (أي التجسد المادي) يقابله في القرآن تجسد الله في الكلمة[١٣]؛ لأنك لن تجد مسلماً واحدا يقدس وجود الله المادي في القرآن المكتوب، ولكنه يحترم كلمة الله عند تلاوته، بدون ادعاء أن الله عالم لغة عربية.

ويلتصق بهذه المهارة - أي مهارة تلاوة القرآن - شكل آخر من التلاوة، وهي إلقاء القصائد المطولة كالمعلقات وقصائد الغزل التي تُعَدّ أرقى صور الموسيقى العربية.

حديثنا هذا لا يدل بأي شكل من الأشكال على التقليل من دور كل ما هو مكتوب في العلوم الإسلامية. وكيف يكون هذا، ونحن نعلم قيمة أعمال علماء الإسلام المكتوبة، وذلك منذ القرن الثاني الهجري؟ لقد تم تدوين القرآن في صحف متفرقة في أثناء حياة الرسول، وما لبث بعد فترة قصيرة أن ظهرت كتب مطوَّلة يجمع فيها العلماء حديث[١٤] الرسول، كما ظهرت تفاسير كثيرة للقرآن الكريم. وكذلك ظهرت روايات لسيرة [١٥]

---

(١٣) Hans Küng. يعلمنا الإسلام نهاية الفصل بين الدين والسياسة في Die Welt رقم ٥٥ برلين ١٩٨٩/٣/٦ ص ١٣ .

(١٤) أهم مجموعات الأحاديث الموثقة انظر: البخاري ومالك.

(١٥) يتميز كل من الطبري وابن كثير بأنهما مفسرا قرآن وأنهما مؤرخان للتاريخ الإسلامي. ولقد ظهرت ترجمات لتاريخ الطبري، فظهرت ترجمة فرنسية في دار نشر سندباد، وأخرى إنجليزية من خلال (State University of N.Y. in Albany). أما تفسيره للقرآن فقد ظهر منذ عام ١٩٨٩ بالإنجليزية من خلال دار نشر Oxford University Press.
ويقدم محمود أيوب عرضًا يضم ١٣ مفسراً من عصور وتوجهات مختلفة في The Quràn and its interpreters ظهر إلى الآن منه جزءان State University, of N.Y. Press; Alpany 1984 & 1992.

الرسول وعلوم التأريخ وعلوم المعاجم وعلوم أخرى كالنحو والفقه [١٦] وغيرها من العلوم.

كانت علوم اللغة والبلاغة هذه منذ بدايتها وفي مراحل تطورها المختلفة حريصة دائماً على أن تكون النصوص المقدسة وما يتعلق بها من نصوص كالتفسير في متناول كل إنسان بشكل مباشر، حتى الأمي، على عكس ما تجده في الكنيسة وعلاقتها بالنصوص المقدسة من ناحية وأتباعها من ناحية أخرى.

لم تكن علوم الدين الإسلامي ولا نصوصه علمًا سريًا في أي وقت من الأوقات. وكل ما سبق ذكره يؤكد من قيمة الشفاهية في الإسلام، ويوضح ما يتمتع به الإسلام من صلابة وقدرة على مقاومة المتربصين به. فلم يستطع السوفييت القضاء على الإسلام في آسيا الوسطى؛ لأن اعتقال علماء الإسلام وحرق المكتبات وحده لا يفرغ الإسلام من قوته، فهناك عنصر الشفاهية ـ الذي سبق ذكره ـ كوسيلة تعليم وإعلام.

يقوم صديقنا المسلم المغرم بالشرق برصد عدة عناصر أخرى في أسلوب حياة المسلمين ـ وإن بدت أقل أهمية مما سبق ـ ويبدي إعجابه بها. من ضمن هذه المظاهر التي يذكرها بإعجاب شديد، الصبر الذي يتسم به المسلم، وهذه الصحوة التي يلمسها في كل مكان، وهو يعني بها قدرة المسلم على تجنب المخدرات والخمور، حتى وإن وجدت.

---

(١٦) تُعَدّ «الرسالة» للإمام الشافعي عملاً يتسم بالأهمية الشديدة حتى إنه يستحق فعلاً أن يكون قاعدة لعلوم التشريع الإسلامية. انظر: خضوري.

وكما هو متوقع من ابن رشد الطبيب والفيلسوف والفقيه، فإن كتابه القانوني: «بداية المجتهد» يُعَدّ أنموذجاً إلى يومنا هذا.

لن يضطر رجل في مدن يمارس فيها الإسلام أن يأخذ حذره من سائق مخمور، ولا تضطر امرأة إلى أن تحتاط لنفسها خوفًا من مخمور يتهجم عليها. لن تستمع إلى جلبة وصخب يحدثهما سكران، سواء ليلاً في شارع ما، أو على منضدة مجاورة لك في مطعم قصدته.

بل إن عينيك لن تدمعا بتأثير دخان من يجاورونك في أي مجلس؛ لأن أعداد المدخنين في العالم الإسلامي أقل بكثير من مثيلتها في أوروبا وحتى في الولايات المتحدة.

المسلم الحق عادة ما يكون رشيقاً؛ لأنه اتباعاً للسنة لا يجوز للمرء أن يأكل حتى الامتلاء(*). بينما نجد أن مشكلة السمنة هي إحدى المشكلات المؤرقة في الولايات المتحدة، حيث تنتشر ظاهرة السمنة بشكل مفرط، لدرجة أنها تكاد تكون مشكلة قومية؛ ولذلك تجد منذ اللحظة التي تطأ فيها قدماك أرض أحد مطارات الولايات المتحدة أناساً يعانون من مشكلة السمنة من مختلف الأعمار.

ومن قبيل التفسير السطحي لدرجة الإخلال بمضمون المشكلة أن نُرجع أسباب السمنة المفرطة في الغرب إلى الشراهة في تناول الطعام، بينما نعلل نحافة المسلم بصومه شهر رمضان. ولكن من المؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مشكلتي السمنة والنحافة لا يمكن تفسيرهما فقط في ضوء الأطعمة السريعة ذات السعرات الحرارية المرتفعة، أو اللحوم التي

(*) ففي الحديث: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه». [صحيح] الترمذي [٢٣٨٠].

تحتوي على هرمونات تورث السمنة، ولكنهما يفسَّران كذلك في ضوء الحالة النفسية للمرء؛ فلا عجب أن نتحدث عن «شحم الهموم»، مما يعيدنا إلى الحديث عن أهمية الإيمان ودوره في حياة الأفراد والمحافظة عليها.

هناك أيضاً بجانب عدم الإسراف في الملذات صورة من صور الهدوء والاسترخاء في البيئة الإسلامية الحقيقية. ويجنح البعض إلى تسويغ هذا الهدوء في ضوء المناخ الحار، ولكنك تصادف ظاهرة الهدوء هذه في الأقاليم الباردة كذلك. ويحلو للبعض الآخر تفسير هذا الاسترخاء بكونه إرهاقاً متوقعاً من أناس يستيقظون مبكراً لأداء صلاة الفجر (قبل شروق الشمس بحوالي ساعة ونصف الساعة تقريباً). ولكن في حقيقة الأمر يعود السبب في هذا الاسترخاء إلى غياب الضغوط الحياتية المعتادة، والذي لا يمكن تفسيره ـ أي هذا الغياب ـ إلا من رؤية دينية للدنيا وشؤونها.

هناك بطبيعة الحال أطباء نفسيون في العالم الإسلام ومرضى بحاجة إلى هؤلاء الأطباء[١٧]. لكن إيمان الناس ويقينيهم الثابت بالقضاء والقدر، وثقتهم بهداية الله وحسابه العادل في الآخرة، واعتقادهم بالآخرة ووجود حياة يحياها الإنسان بعد الموت، يحفظ غالبية المسلمين من إحساس يبدو سمة لما يعرف بمرحلة ما بعد الحداثة بما يتضمنه من ضياع وجودي وفراغ كوني واغتراب مأساوي. كما يحميهم من الشعور بالاكتئاب بسبب التقدم في العمر، كل هذه الأمراض التي طالما حولت الكثير من الأطباء النفسيين إلى أثرياء.

(١٧) انظر بدري (١٩٧٩).

فيقين المسلم وإيمانه العميق المكلل بالتقوى يؤدي إلى تضاؤل أهمية أشياء كثيرة تبدو لغير المؤمنين ذات أهمية عظمى، بل إنها تفرغها من أهميتها نهائياً.

والأمر المهم جداً، أنك تسمع الأذان خمس مرات يومياً في العالم الإسلامي، مذكراً إياك أن الله هو مانح الحياة والعاطي لكل شيء.

ومن الوظائف التي يفترض أن يؤديها الأذان تنظيم حياة المسلم. ولكن يبدو أن هذا لا يتم إلا في البلدان التي تُغلق فيها المحلات في مواقيت الصلاة دون غيرها من غير البلدان التي لا تلتزم بهذا الأمر. تسهل الدولة برفعها للأذان على المسلم تذكر مواقيت الصلاة وأدائها، كذلك توفر له شراء اللحم الحلال وهو مغمض العينين من أي جزار؛ لأنه على ثقة بأن الذبيحة قد ذبحت حسب الشريعة الإسلامية[١٨]. هذا التيسير لا يلاقيه المرء في العالم الغربي، حيث يقضي وقتاً طويلاً في قراءة ما يكتب على أغلفة منتجات اللحوم ليتأكد من خلوها من لحم الخنزير.

ويتسم المسلمون بهدوء شديد فيما يختص بالوقت والزمن، حتى يُخيل إليك إنك تتحدث عن شعور مختلف بالزمن، شعور شرقي بالزمن إن جاز التعبير.

ومن المنطقي أن يتعذر وجود وقت أينما وحينما يساوي الوقت المال (Time is money). فحركة العالم تسرع خطاها في العالم الغربي بسرعة

(١٨) إن اللحوم (ما عدا لحم الخنزير) حلال للمسلم لو تم ذبحها وفق الشريعة الإسلامية، اي تنحر باسم الله ويصفى دمها. يقول اليهود عن هذا النحر (Koscher) كوشير.

حركة دوران المال. ويؤدي الإنترنت دورًا أساسيًا في هذا الصدد؛ لأنه ينتج الاتصال فيما يسمى Real Time أي الاتصال في الوقت نفسه؛ ولذلك فمن المحتمل توافر الوقت حيث لا يتم مساواته بالمال.

ومن النتائج الإيجابية للموقف الشرقي من الوقت هو انتفاء القلق الدائم بأنك ستصل متأخراً من موعدك، هذا الشعور الذي يلح باستمرار على الغربي.

فالمسلم لا يحول الوقت إلى طاغية يحكمه، ولا يحدد مواعيد يرزخ تحت وطأة اللحاق بها؛ فهو مثلاً لا يحدد موعداً كالساعة ٢٠:١٦، بل يقول في الفترة ما بين صلاة العصر وصلاة المغرب. فالكل يعلم أن الأولوية للصلاة وأنها عذر مقبول لأي تأخير.

تضفي الصحوة والهدوء المذكوران سابقاً وقاراً، يزيد من هذا الوقار الخطوة التي يحكمها الجلباب أو الثوب[١٩] والقفطان.

إنَّ أول ما يخطر على بال صديقنا المسلم هذا عند ذكر الوقار المرأة المسلمة؛ لأنها اتباعًا للقرآن[٢٠] والسنة ترتدي ملابس محتشمة تقيها شر

(١٩) الجلباب المصري أو الثوب العربي هو نوع من الملابس التي تصل إلى أقدام الرجال وذات أكمام طويلة، تكون في الصيف عادة ذات ألوان فاتحة وفي الشتاء ذات ألوان داكنة.

(٢٠) الآية ٢٠ من سورة النور ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، والآيتان ٥٣ و٥٩ من سورة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

الدخول في منافسة للعري مع المرأة الغربية، أو الدخول في منافسة مع الرجل في مجالات، Muscle Building؛ ولذلك فقد نجحت المسلمة في العالم الإسلامي في أن تحفظ نفسها لا تقع فريسة للاستغلال كسلعة جنسية في الدعاية أو في مكان العمل.

لقد اتخذت حركة تحرير المرأة في الغرب حماية المرأة والدفاع عن حقوقها هدفاً رئيساً لها، ولكن المرأة المسلمة تفوقت فيما حققته من نجاح على مثيلاتها الغربية، وهذا ما يدفع النساء في الغرب إلى اعتناق الإسلام، حتى إن عدد النساء اللاتي يعتنقن الإسلام في الغرب يفوق عدد الرجال، رغم كل الدعاية المضادة.

ويتغاضى الغرب عن حقيقة دور المرأة وأهميتها في البيت المسلم، حيث تقوم بالدور الرئيس، خاصة كأم، فهي تمارس سلطة هائلة على أبنائها، أكثر مما يبدو أو يتوقع أحد في الغرب.

تختم الشخصية الغربية المتخيلة لصديقنا المسلم هذا، سرد الصفات التي تجذبه للحياة في المجتمع الإسلامي والتي أخذ في تبينها بذكر حقيقة ثابتة وهي شعوره بالارتياح لعيشه في بيئة تقدر الله حق قدره، وتنزله المنزلة اللائقة بذاته سبحانه، وهذا يتم بطبيعة الحال (بلا شك) اليوم في العالم الإسلامي أكثر منه في الغرب.

حين يدير السائق محرك السيارة، فإنه يبادر بذكر الله قائلاً: «بسم الله». ونفس هذا الفعل يأتيه كل من المحاضر وقائد الطائرة عند تحيته

لضيوف رحلته، والأب عندما يهم بالأكل ويمسك بالملعقة في يده. ولن نجد محاضرة لا يلقيها قائلها إلا ويستهلها بحمد الله والصلاة والسلام على رسول والسلام لمستمعيه[٢١].

ويُعَدَّ يوم مولد الرسول عيداً رسمياً في الدول الإسلامية، حتى إن رئيس الدولة المصري يقيم استقبالاً رسميًا بهذه المناسبة، ويقيم ملك المغرب حفل إنشاد ديني للمناسبة نفسها. أما الملك السعودي فيحمل لقب خادم الحرمين الشريفين.

قد يبدو كل هذا سلوكًا مظهريًا قد يتحول إلى طقس بلا مضمون، ويقابل هذا «خصخصة» الإيمان في الغرب، أي قصره على المجال الخاص للإنسان، هذا الإيمان الذي قد يخجل المرء أن يعلنه، خصوصاً المتعلم أو المثقف.

ويشير صديقنا المسلم الغربي الذي تتملكه رغبة عارمة في الهجرة إلى عالم إسلامي والحياة فيه، إلى أن الإسلام بالرغم من الاتجاهات ذات القوة المركزية الجاذبة للإله الواحد، فإنه يتمتع كذلك باتجاهات ذات قوة مركزية طاردة تذهب به إلى التعددية. فلم يلبس خليفة ما يومًا ثوب البابا المعصوم، ولَمْ يدَّعِ أحد في الإسلام ـ بما في ذلك محمد ﷺ ذاته ـ الكمال أو أنه منزه عن الخطإ.

---

(٢١) عادة ما يبدأ المرء كلمته بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يقبل فقهاء الإسلام بوجود سبعة مذاهب فقهية على التوازي، بالرغم من وجود تنافس موضوعي بينها وفي ظل اختلافات في التفاصيل[٢٢].

كما أثرت التعددية علوماً كعلوم الدين والفلسفة والتصوف، مما كان له أثره في نشأة مدارس فلسفية كالمعتزلة والأشاعرة، وكذلك في ظهور ملل ونحل[٢٣] كثيرة وطرق صوفية شديدة الاختلاف[٢٤].

أخيراً يقف كل مسلم أمام الله بغير وساطة أو تدخل لأي شخص مقدس أو أسرار دينية. وهكذا يصبح المسلمون ديمقراطيين أساسيين لا يخضعون لنفوذ أي رجل دين، ومدفوعين بتعاليم القرآن إلى إدارة كل شؤون الجماعة عن طريق التشاور بين أولي الأمر والمحكومين بشكل ديمقراطي[٢٥].

وهنا تنتهي المرافعة الفنية للمسلم الغربي المتخيل، الراغب في الهجرة إلى الشرق.

---

(٢٢) لقد تقاربت المذاهب السنية الأربعة حتى أصبح من المحتمل والمقبول أن تجمع. وتُعَدّ الزيدية أقرب المذاهب الشيعية إلى المذاهب السنية الأربعة، وهو ذلك المذهب الذي أسسه زيد بن علي، وينتشر في اليمن، يليها مذهب الاثني عشرية، وهو أكثر مذاهب الشيعة عدداً، ويعيش أتباعه في الشام والعراق وإيران ووسط آسيا. وبعد ذلك هناك الشيعة الإسماعيلية، وأكثرهم في وسط آسيا.

(٢٣) هناك غير المذاهب السنية والشيعية، الإباضية في سلطنة عمان وشمال إفريقية، وهناك مذاهب أخرى مثيرة للخلاف والجدل، مثل البهائية والأحمدية والقاديانية.

(٢٤) تقدم Schimmel عرضاً وافيًا دقيقًا للطرق الصوفية الكثيرة على اختلافها. انظر كذلك Parrinder.

(٢٥) إنني أشير هنا إلى مبدأ الشورى الذي ذكرته آية ١٥٩ من سورة آل عمران، الآية ٣٨ من سورة الشورى، كأساس لحياة برلمانية إسلامية.. والذي يسميه الشيخ محفوظ نحناح الجزائري «شورى قرآنية».

-٣-

نتوجه الآن بسؤالنا عن الإسلام والحياة في العالم الإسلامي إلى الشخصية المتخيلة الثانية، شخصية الغربي المعتنق للإسلام ولكنه، على النقيض من زميله، يرصد سلبيات ونقائص عالم الشرق.

(كما فعلنا قبل ذلك عند مشاهدتنا للعالم الغربي من منظوري الطالبين المسلمين).

نحن أمام شخص مثله كمثل محمد أسد الذي يحمد الله ـ وهو في الخامسة والثمانين من عمره ـ على أنه اعتنق الإسلام قبل أن يتعرف على العالم الإسلامي [٢٦]؛ لأنه بهذا الشكل لم يكن ليستطيع أن يتجنب رؤية الواقع الذي يلقي بظلاله على النظرية الإسلامية ذاتها والفكر الإسلامي، ولا أن يركز اهتمامه أساساً على النظرية ذاتها وليس تطبيقها من قبل البشر في الفترة الحالية من تاريخ الإنسانية والمسلمين. ويتفق صديقنا المسلم هذا مع الشيخ محمد الغزالي (المتوفى عام ١٩٩٦) في مقولته الشهيرة: إن بالغرب مسلمين قلائل والكثير من الإسلام، وإنه رأى العكس في كثير من أجزاء العالم الإسلامي، أي مسلمين كثيرين والقليل من الإسلام.

---

(٢٦) كذلك قال لي أسد البالغ من العمر آنذاك ٨٥ عاماً في لشبونه عام ١٩٨٥ لقد تمادى أسد (١٩٨٨) أكثر، قال: إنه لم يكن ليصبح مسلماً أبداً ما لم تكن قدرات فهمه متأثرة بالمدارس الأوروبية.

لا يجنح صديقنا إلى المبالغة فيدعي أن الإسلام هاجر من العالم الإسلامي سابقاً إلى الغرب.

ولكن صديقنا هذا ينظر بسلبية شديدة إلى معظم ما رآه زميله إيجابيًا في العالم الإسلامي، ويوجه نقده الشديد إلى غالبية العناصر التي مدحها زميله.

العالم الإسلامي جزء من العالم النامي (الدول النامية) الذي لا يتوافر فيه إلا أربعة أشياء فقط: الشمس والصحراء والأطفال والوقت. ولن تجد لهذا الوضع ـ الذي يحجبه فقط استيراد التكنولوجيا في الخارج ـ عذرًا أو تسويغًا تاريخيًا أو جغرافيًا.

يتسم مفهوم العائلة في مجتمعات العالم الثالث بازدواجية شديدة، حتى إنك تستطيع أن تراه عاملاً أساسيًا للفساد الذي يسري في هذه المجتمعات حتى النخاع. حيث تُقسم المناصب المهمة في الإدارة والشؤون الاقتصادية وحتى الثقافية ـ كمجالي المسرح والأدب ـ بناء على علاقات القرابة والمحسوبية، ومن ثم يحتل كثيراً من المناصب المهمة والحساسة أناس غير مؤهلين تنقصهم الكفاءة، وبذلك تحرم هذه الدول من كفاءات تساهم في تنميتها. بل إن هذا الأمر يعوق عوامل وأسباب نموها.

يرى العامة من مسلمي الشرق أنفسهم ملتزمين أخلاقياً بحماية علاقات القرابة، حتى إنه لا ينتابه أي شعور بالذنب تجاه من يظلمهم لحساب قرابته. لم يكن أحد ليجرء على أن يأتي مثل هذا السلوك في

الغرب، وإلا وجد نفسه مهدداً بدخول السجن إن لم يدخله فعلاً.

أما بالنسبة للدفء الذي تتسم به العلاقات الإنسانية بين أفراد الأمة فهو حقيقة ولكنها حقيقة منقوصة وغير كامل، فلا يمكن ـ بناء على ما يحدث على أرض الواقع ـ، أن ندعي أن العمالة الأجنبية التي يبلغ تعدادها الملايين في شبه الجزيرة العربية تعامل معاملة الأخوة في الإسلام، ويعضد هذا الرأي (الذي ينكر معاملتهم معاملة الأخوة)، حرمانهم من حقهم في اصطحاب عائلاتهم، وحق الإقامة الدائم، وعدم صرف معاشاتهم المستحقة بعد انقضاء مدة الخدمة. فهل يجوز ترحيل الباحثين عن العمل من فقراء المسلمين (من الباكستانيين والمصريين والفلسطنيين والمغاربة) ـ حتى وإن دخلوا البلاد بطرق غير شرعية ـ دون إجراءات قانونية، وفي ظل ظروف غير إنسانية؟!

أما بالنسبة للدول الفقيرة التي يبحث مواطنوها عن فرص عمل في دول الخليج الغنية، فستقع عيناك فيها على مظاهر رفاهية لن تجد لها مثيلاً في دول غنية كثيرة. فعلى سبيل المثال، في المغرب، ترى بعض نساء المغرب وقد ارتدين الملابس الفاخرة والمجوهرات الثمينة التي لا تجد لها مثيلاً بين سيدات السلك الديبلوماسي في المغرب ـ وغيرهن ـ لدول أكثر غنى، لكن ربما كان هذا هو سبب غنى بلادهم.

قد يبدو هذا القول لاذعًا وشديد السخرية، ولكنه قريب جداً من الواقع. إن ملاحظة حياة من كانوا بدواً سابقاً في دول الخليج تعطيك الانطباع بأن أثمن ما في حياتهم وأغلاه، ليس الإنسان رجلاً كان

أو امرأة، وإنما هو الحيوانات الأصيلة كالخيول وصقور الصيد ونوق الهجن. فالاهتمام بصقور الصيد مثلاً الذي يصل إلى حد استقدام اختصاصيين نفسيين لهذه الصقور التي يبلغ ثمن الواحد منها مئات الآلاف من الدولارات، لا يثير استغراب مسلمي الغرب وحدهم.

أما محك الاختبار الحقيقي لشعور الإخاء الذي طالما تغنى به المسلمون فهو القضاء على الفجوة الرهيبة بين فقراء الأمة وأغنيائها.

لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن ننكر أن هناك الكثيرين من حكام بلاد البترول وغيرهم من أغنياء المسلمين يبذلون الكثير من الأموال ـ بشكل فردي وشخصي لشؤون الإسلام كبناء المساجد والمراكز الأكاديمية ـ كالمركز الأكاديمي للملك فهد بمدينة بون ـ على سبيل المثال، كما أن للشيخ زايد باعًا طويلاً ومحاولات مستمرة للتأكد من استحقاق من يطلب المساعدة وأدائها إليه. وأود أن أؤكد أن توزيع المال والصدقة على مستحقيها أبعد ما يكون عن الأمر اليسير. وعلينا أن نأخذ كذلك في الحسبان أن المطالب الأساسية للمعيشة كالماء والكهرباء يحصل عليها المواطن بلا مقابل أي بالمجان.

ولكن بالتوازي مع كل هذا، يفاجأ المسلم الغربي بمظاهر ثراء ورفاهية يعجز عقله عن استيعابها، فلا تتماشى هذه المظاهر مع الأخوة المرجوة، مع التأكيد على أن الفائدة لن تعم على أحد إذا ما طالبنا المليونيرات بكسب أموالهم كسكبهم القهوة ليقسموها بين الناس. لكن مع الاحترام الشديد لرغبة المسلم في بذل الأموال لوجه الله، فإنني أرى ـ

لضمان الثواب في الآخرة [٢٧] ـ ألاينفقوا أموالهم في بناء المزيد من الجوامع، بل في إقامة دور الحضانة والمدارس الإسلامية وتكوين جمعيات تهدف إلى مساعدة المسلمين مثل Muslim Aid (المعونة الإسلامية).

وبما أننا تطرقنا إلى حديث المال، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل حقيقة أن الدول الإسلامية تودع أموالها بالغرب وغيره في ظل نظام يتعامل مع الفائدة البنكية بالرغم من نهي القرآن عن هذا التعامل، وبغير تقديم حلول منقذة للاستثمارات الخارجية[٢٨]. لقد حدد الإسلام طريقة الربح الحلال لرأس المال، وفيها يحتمل الربح والخسارة معاً. ولهذه الأسس فوائدها الاقتصادية وليست الأخلاقية فحسب؛ لأنها تشحذ من مخيلة صاحب العمل واستعداده للمغامرة، وهي إحدى الدعامات الأساسية للبناء الرأسمالي (لكن المجازفة وحدها لا توفر الشرعية الإسلامية للتعامل الرأسمالي).

إن محاولة التعايش بمعزل عن الفائدة في مجتمع مالي واقتصادي يعتمد في أسس بنائه على الفائدة ـ ليس كصفة فحسب، بل لأداء وظائف بعينها ـ تُعَدّ ضرباً من ضروب المستحيل. ولكن المحزن في الأمر كله في عامنا ١٤٢٠ للهجرة أي بعد مئات السنين من إقامة نظم حكم إسلامية ينقصنا نظام إسلامي اقتصادي حتى في بلدان كماليزيا

(٢٧) أن يكون هذا هو ثواب بناء المساجد بشرط صحة النية والمال الحلال، لا يعني أن أعمال الخير الأخرى والصدقات لن تثاب بمثل هذا الثواب.

(٢٨) الآيتان ٢٧٥، ٢٧٦ من سورة البقرة، والآية ١٣٠ من سورة آل عمران، والآية ٣٩ من سورة الروم.

وباكستان[٢٩].

لا نستطيع أن ننفي عن الإسلام نزعته للمساواة ولإقرارها بين البشر على المستويات كافة، وذلك منذ بواكير التاريخ الإسلامي، حتى إننا نلحظ على مر العصور محاولات عدة لإقرار هذه المساواة اجتماعياً وسياسياً من خلال الخوارج في القرن السابع مثلاً والقرامطة في القرن التاسع[٣٠].

ولكن هذا لم يمنع وجود آلاف من الأمراء في شبه الجزيرة العربية يطالبون لأنفسهم بمميزات دون غيرهم من البشر، وذلك بصورة علنية كما خبرتها في إحدى رحلات طيران الخطوط السعودية.

كما أن العالم العربي يزخر بمن يطالبون لأنفسهم بحقوق تفوق حقوق غيرهم، استنادًا إلى ثروة أو جاه أو عائلة أو نسب أو محسوبية. ويتبع هذا ضرورة أن نعترف بعدم وجود دولة إسلامية تستطيع أن تدعي أن مواطنيها يشاركون في عملية التحكم حتى في ظل وجود انتخابات ومجالس نيابية. لكن على النقيض، إذا ما تناقشت مع مسلم متشدد عن الديمقراطية، بادرك بالقول إنه لا يمكن الجمع بين الإسلام ونظام الحكم هذا (ونظراً لأهمية هذا الموضوع سنفرد له فصلاً خاصًا به).

---

(٢٩) انظر خورشيد أحمد (ناشر) ١٩٩٤ يعرض باستفاضة لمشكلة الربا.

(٣٠) لقد كان هدف الخوارج ـ الذين قتلوا الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين ـ أن يسود مبدأ: «أن يتولى أتقى المسلمين رئاستهم» ولو كان هذا عن طريق السلاح.
لقد ثار القرامطة ضد وجود طبقة متميزة، حتى إنهم سرقوا الحجر الأسود لإثارة الانتباه إلى مطالبهم.

أما الاحترام الجدير بالإعجاب، والذي يحكم حياة المسلمين، فله محاذيره حيث يمكن أن يؤدي إلى اعتقاد مطلق في السلطة، وعدم التعرض بالمساءلة أو النقد. وهذا من شأنه أن يؤدي، ليس فقط إلى عدم أهلية المجتمع للممارسة السياسية الحرة والحوار السلمي كوسيلة تغيير، بل أيضاً إلى عجز المجتمع عن تحقيق إنجازات علمية جديدة؛ لأن نقد الذات (إي افتراض الشك فيما هو قائم) هو السبيل للتقدم العلمي.

ولقد تعرضت الحضارة الإسلامية لهذا الخطر، بل دب الضعف في أوصالها في القرنين ١٤ و١٥ الميلاديين، حين تضاءل احترام العلوم، بل اختفى تماماً الاهتمام بكل ما هو جديد، وتحول احترام الإنجازات العلمية للسابقين إلى مجرد تقليد، وأغلقت الأمة باب التجديد، حتى صارت ممارسة العلوم محصورة في كتابة المتون والحواشي والفهارس لأعمال السابقين.

ولقد أخطأ علماء هذه الحقبة حين اعتقدوا أن الأولين بحثوا في كل نواحي العلوم الإسلامية، حتى لم يعد أمامهم مجالات بحث، وأن الأولين كانوا بحكم قربهم من المصادر الأولية للإسلام أكثر قدرة على البحث.

وهذا الاتجاه ـ الذي لم يعلنه خليفة أو مدرسة علمية أو مجلس فقهي ـ استطاع أن يفرض نفسه كمناخ فكري سيطر على أنحاء العالم الإسلامي كافة، وكان هذا المناخ كفيلاً بأن يقترب الإسلام وعلومه في حالته البائسة هذه من الوضع الذي أوجدته الكنيسة المسيحية من حظر على حرية التفكير، وإرساء للفكر المتحجر.

وقد أدى هذا الانحطاط الفكري إلى الانهيار الاقتصادي والعسكري وسقوطه ما بين القرنين ١٧، ١٩ .

يعتقد غالبية المسلمين أن تخلفهم المادي اليوم ما هو إلا نتيجة للاستعمار الأوروبي الذي تعرضت له بلادهم إبان فترة الإمبرايالية الغربية، ولكنني أرى العكس: فلقد تعرض العالم الإسلامي للاستعمار بسبب حالة الانحطاط[٣١] التي كان قد وصل إليها من جراء اتجاه التقليد الذي استشرى في العلوم والفكر.

يقرر علم النفس أن تحميل الآخرين مسؤولية فشل المرء يُعَدّ من الآليات التي من شأنها إراحة النفس. لكن هذه الآلية قد تحولت في العالم الإسلامي إلى حالة جنون مبالغ فيها، فكل الكوارث يتم إرجاعها إلى نوع من تآمر الغرب على العالم الإسلامي.

والتفسير التآمري هذا دائمًا ما يحمل المخابرات الأمريكية، والموساد والمنظما ت الصهيونية وعملاءهم، وكذلك الناتو، المسؤولية الرئيسة لكل ما يحيق بالأمة الإسلامية من مصائب.

فالبعض يعتقد حقيقة بوجود خطة رئيسة محكمة master plan لتدمير الإسلام والعمل على فناء العالم الإسلامي.

ومما أعطى مصداقية لكل ادعاءات التآمر هذه: فشل حلف شمالي الأطلنطي في وقف النزاع المسلح في البوسنة في سنواته الثلاثة الأول،

(٣١) أسد (١٩٨٨).

وإخلاص الولايات المتحدة في مساندتها المستمرة والدائمة لإسرائيل، وبروز يهود كمساعدين رئيسين للرئيس كلينتون، وموظفين يحتلون مناصب مهمة في إدارته[٣٢].

هذا مع أيسر وأقرب التفسيرات هو أن الدول تمارس سياسة تخدم مصالحها الخاصة، وأن اختراعات شخص مثل بيل جيتس تغمر العالم على الرغم من الجميع؛ لأن التكنولوجيا فائقة التطور، كالماء تصب من أعلى إلى أسفل وليس العكس.

وتُعَدّ الحالة النفسية التي سبقت الإشارة إليها ذات ضرر بالغ للمسلمين، حيث تمنعهم من التفكير في نقاط ضعفهم وتشخيص أسباب فشلهم الحقيقية وتحديدها، وبالتالي تشل قدرتهم على المبادرة بإيجاد حلول للخروج من أزمتهم.

هناك ظاهرة أخرى مرتبطة بالاتجاه إلى التقليد ولا تقل عنه ضررًا، وهي الخوف من كل جديد وعدم السماح به. ويظهر هذا أوضح ما يظهر في مناهج وأساليب التعليم في العالم الإسلامي، حيث يسود في المدارس ـ خاصة في المرحلة الأساسية ـ أسلوب التلقين والحفظ والتسميع، بدلاً من التساؤل عن أصول الأشياء وإعمال العقل، حتى صرنا نتحدث عن أمية المتعلمين.

---

(٣٢) مثل وزير الدفاع ووزيرة الخارجية ومستشار الأمن القومي وغيرهم، ولكن لا يمكن تسويغ المؤامرة الصهيونية على كلينتون لمجرد أن مونيكا لوينسكي يهودية.

ويميل علماء مسلمون - حتى الآن - إلى إثبات رأيهم عن طريق الاستشهاد بآراء من لهم مكانة وسلطة، بدلاً من الإتيان ببراهين وحجج تواصلوا هم إليها، فيأتي حديثهم غالباً على النحو الآتي: قال فلان: «...» وقال فلان: «....» (٣٣).

أما السبب الرئيس لهذه الظاهرة، فهو تضييق مفهوم التجديد وتوسيع مفهوم البدعة في الإسلام، رغم أنه يحتمل المعنيين الإيجابي والسلبي، فقصره البعض على معناه الثاني وهو السلبي؛ فكل تجديد في الفكر الإسلامي والممارسات والسلوك يُعَدّ بدعة (بالمعنى السلبي للتجديد) غير مسموح بها(٣٤). وهكذا انتشرت عقدة «البدعة» التي مكنت البعض من استخدام تهمة «البدعة» كسلاح يشهرونه في وجه كل من يعارضهم، ويستخدمونه حسب أغراضهم ومصالحهم، ولهذه التهمة عواقبها الوخيمة التي أوذي بسببها من المتصوفة الحلاج والسهروردي(٣٥) حتى الموت، وهذان الاسمان يذكران على سبيل المثل لا على سبيل الحصر.

ولقد أدى الخوف من التجديد، ووصم كل ما هو بـ «البدعة» إلى ركود فكري، وتقوقع على الذات، والانفصال عن التطور التكنولوجي الغربي. ولقد أدى هذا على سبيل المثال إلى أن يطبع القرآن الكريم لأول مرة في

---

(٣٣) إنني أسمي هذا الأسلوب غير العلمي جلا جلا.

(٣٤) لقد طالب الرسول المؤمنين بالتمسك بسنته كما ورد في كثير من الأحاديث. وأسوأ ما يمكن أن يصيب الإسلام هو البدعة. انظر النووي الجزء الأول الحديث ١٧٠ . أما ثواب التحديث والإضافة الإيجابية فتجدها عند مسلم حديث رقم ٦٤٦٦ .

(٣٥) الحلاج انظر Poèmes mystiques - Sindbad Paris 1985.

obeikandi.com

هامبورغ عام ١٦٤٩[٣٦]، وألا يكون المسلمون هم أصحاب الفضل في هذا الإنجاز.

كان العلماء قبل ذلك عام ١٥٨٠ في إستنبول، قد أمروا بتدمير المرصد الذي تم إنشاؤه في العام الذي سبقه بصفته بدعة، ولقد توقفت أولى المطابع العثمانية عام ١٧٤٥ بضغط من هؤلاء العلماء.

ويعاني العالم الإسلامي إلى يومنا هذا ـ من وجود رقابة شديدة، نستطيع أن نلحظها حتى في نصوص خطبة الجمعة التي يلقيها موظفو وزارة الأوقاف التابعة للحكومة. فبعض الأئمة يقرؤون الخطبة من ورقة مكتوبة مسبقًا؛ ليثبتوا للمسؤولين خضوعهم للرقابة.

كما أن العالم الإسلامي يعاني إلى الآن من تفضيل العلوم الإنسانية والأدبية على العلوم الطبيعية، وكأن الله لم يتجل في كتابه وفي الطبيعة على حد سواء.

فمن ذا الذي إذن يتعجب من أن ينال أفراد العالم الإسلامي جائزة نوبل في الآداب، ولا ينالها أحد منه في العلوم الطبيعية؟ أما بالنسبة للعلوم الحديثة، كعلوم الجينات والميكروفيزياء والكيمياء الحيوية وعلوم الوراثة وعلوم الفضاء، فحدث ولا حرج.

هذا مع أن النجاح الباهر الذي حققه علماء ينتمون إلى دول إسلامية، مثل مصر، الهند، باكستان، وفلسطين وسوريا في مجالات الحاسب الآلي والطب في أمريكا، يدل بما لا يدع للشك على أن الأمر

(٣٦) انظر إمام ص ٧٣ فهو يرى أن القرآن قد تم طبعه عام ١٥٣٠ في فينسيا ولكن تم تدمير هذه الطبعة، ولكن هذا لا يمكن إثباته لعدم وجود نسخة، ولكنني رأيت في بيت القرآن في المنامة نسخة بحالة جيدة من طبعة هامبورج.

ليس أمر الموهبة ولكنه أمر المناخ العلمي الملائم وحرية البحث والتفكير. فوادي السيليكون في سانتا كلارا وما حولها وكذلك بالوالتو في وسط كاليفورنيا ما هما إلا منطقتان إسلاميتان.

يحث الإسلام المؤمنين على الصبر، فالله مع الصابرين [٣٧]. ولكن هذا لا يسوِّغ ما يمارسه بعض الموظفين المسلمين في أماكن عملهم. فهم يجعلون من له طلب عندهم ينتظر حتى يفرغ من إفطاره أو حتى يفرغ من حديثه التليفوني الخاص المطول.

وإن كان البعد عن الملذات فضيلة يحث عليها الإسلام، إلا أنك لا تجده منتشراً بالشكل المفترض في العالم الإسلامي.

فإذا كان محرماً على المسلمين تقديم الخمور، فإنني لا أعلم أي شركة طيران تمتنع عن تقديم هذه الخمور، ما عدا شركة الطيران السعودية، وهل من الممكن أن نقضي على الخمور والمخدرات إذا كنا نسمح (كما هو الحال في دبي) بأن يسكن دار الإسلام بدبي غير المسلمين بنسبة تبلغ حوالي ٩٢٪، وهؤلاء من غير المسلمين لهم الحق في تناول الخمور وفق الشريعة الإسلامية؟ ولن نندهش إذا علمنا أنه في ظل هذه الظروف كانت دبي تموج بالساقطات الروسيات حتى وقت قريب.

ولقد أثبتت الإحصاءات أن أعداد من يتناولون الخمر في تركيا ـ بتاريخها الطويل المرتبط بالإسلام ـ يفوق عددهم في ألمانيا.

---

(٣٧) كما جاء في الآية [١٥٣] من سورة البقرة: «إن الله مع الصابرين» وكذا في غيرها من الآيات الأخرى التي تحث المسلم على الصبر، وما ينتظره من خير الجزاء والثواب لحسن صبره.

وستندهش إذا علمت أن الخمور قد سمح بتداولها في ظل الحكام العثمانيين، فالعالم الإسلامي الخالي ـ تماماً ـ من الخمور والمخدرات غير موجود على أرض الواقع.

ويمكنك أن ترى الإحساس الإسلامي بالوقت من منظور مزودج. فمن الممكن أن يكون تسويفاً فقط لعدم الدقة في المواعيد الذي يُتهم به المسلمون، وهو تعبير عن عدم الاهتمام بالآخرين واحترامهم، كما أنه تبديد للوقت.

ومن الجائز أن تضفي الملابس المحتشمة الوقار على المرأة المسلمة، ومن المؤكد أن المرأة المسلمة تأتدي دوراً رئيساً في الأسرة، ولكن هذا لا يعني أن تضطلع بالدور، فعلى المرأة في العالم الإسلامي أن تعمل على تحرير نفسها من منطلق إسلامي. فهذا العالم ظل إلى الآن عالماً للرجال. (وهذا موضوع يعني به فصل منفرد).

أما التعددية التي يتسم بها الإسلام على المستويات كافة فهي الأخرى قابلة لأكثر من تفسير، فهذه التعددية ثراء وعلى الجانب الآخر ضعف. فالدول الإسلامية تعاني من فرقة شديدة، حتى إنها عرفت بها، ففدت إحدى العلامات المميزة لها. هذا بالرغم من نشأة الجامعة العربية سنة ١٩٤٥ وقيام منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٦٩ بما تضمه من ٥٦ دولة.

وهذا الاختلاف والتشرذم أصبح علامة مسجلة للمسلمين، حتى في أوروبا والولايات المتحدة، فأصبحت مهمة أعداء الإسلام يسيرة جداً.

أما ما يدعو إلى القلق حقيقة، فهو غياب التعددية في الآراء والمذاهب والتسامح مع الرأي المخالف، هذه التعددية الفكرية التي عرفت عن الفلاسفة المسلمين [٣٨] في الأزمنة السابقة.

فالمشهد الإسلامي تحكمه اليوم أقلية من المنظمات الإسلامية السياسية، والتي تتناحر بعضها مع بعض؛ لأن كلاً منها يعتقد أنها وحدها تسير على درب الهدى دون غيرها.

هذه النظرة الضيقة يمكن تسويغها بأن هذه الحركات غالباً ما تجد نفسها في الصراع مع نظم الحكم القائمة التي تخشى على وجودها. وعلى الشخص الذي يجازف بحياته ويكون على استعداد لتحمل العذاب أو الموت في سبيل الإسلام، أن يحدد أولاً ويعرف أي الإسلام هذا الذي يضحي من أجل إعلاء شأنه، وعلى أي حال لا يشترط أن يكون المرء بالضرورة سلفياً إذا ما عاد إلى الأسس الرئيسة للإسلام.

وهناك تفسير آخر للنظرة الضيقة التي تمارس بها الجماعات الإسلامية نشاطها، هو أن قادة هذه الجماعات أكاديميون ولكن ليسوا علماء دين أو فلسفة، بل معظمهم من خريجي كليات العلوم الطبيعية الذي يستلفت جيل كيبيل Gilles Kepel النظر إليه.

ولقد رصدت ظاهرة أخرى شديدة الالتصاق بما سبق ذكره، وهو انبهار بعض الشباب المسلم بشؤون هامشية جداً غير ذات أهمية.

---

(٣٨) يمثل كتاب أبي حامد الغزالي «تهافت الفلاسفة» وكتاب ابن رشد «تهافت تهافت»، وهو رد على الأول، قمة النقاش الفلسفي بين الفلاسفة المسلمين في القرن ١٢ .

فاهتمام الشباب ينصب على البحث في أسئلة مثل: هل يفسد طلاء الأظافر الوضوء أم لا؟ هل يُعَدّ الشعر المستعار غطاء مناسباً للرأس أم لا؟ هل يجوز شرعاً تركيب أسنان ذهبية؟ هل يجوز استخدام مواد التجميل التي تحتوي على مواد كحولية؟ هل يجوز استخدام الشوكة والسكين في تناول الطعام؟ هل الحلوى التي تدخل في صناعتها عظام الخنزير محرمة أم لا؟ هل يجوز شرعاً أن يكون المرء أشول أم لا؟ هل يجوز إهداء قرآن لغير مسلم؟ هل يجوز مصافحة الجنس الآخر باليد المجردة أم لا؟

هذه أسئلة حقيقية يبعث بها القراء في العالم العربي الإسلامي إلى علماء الدين للإجابة عنها، ويبذل هؤلاءالعلماء جهداً ملحوظًا للإجابة عنها فعلاً(٣٩).

إنني أحيي بطبيعة الحال اهتمام هؤلاء الناس وحرصهم على إتيان السلوك القويم والتأكد من صحة تصرفاتهم، ولكني لا أستطيع أن أتجاهل المخاطر التي تهدد الإسلام من جراء هذه التفصيلات، فإنني أرى خطراً يلوح أمام عيني، وهو أن يتحول الإسلام إلى تعاليم تلمودية كما هو الحال في التعاليم المتشددة للدين اليهودي.

وذلك لأن الإسلام في جوهره ـ على النقيض من ذلك ـ يهدف إلى تسجيل حياة البشر والتخفيف عنهم وليس تعقيدها والإثقال على

(٣٩) هذه الأسئلة مصدرها الخطاب الدوري الذي تصدره لجنة المسلمين الألمان (محررها عبد الله بوريك). إن السنَّة تحذر من ضيق الأفق في التفكير ومن المخاطر المترتبة على ذلك والمتمثلة في الاضطهاد الفكري. ففي صحيح مسلم (٧/٢٦٧٠) قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا.

المسلمين[٤٠]؛ ولذلك نهى القرآن [سورة المائدة الآية ١٠١] والرسول عن طرح أسئلة غير ضرورية، حتى لا يثقل المرء على نفسه ويمنع نفسه من التمتع بما يسهل له الحياة[٤١].

ـ ٤ ـ

بعد سماع الرأيين المتعارضين تتابنا الحيرة نفسها التي انتابتنا من قبل عندما استعرضنا رأي الطالبين المسلمين في الغرب. ونقول قولنا السابق: لا نستطيع أن نلوم واحداً منهما، أو أن نفضل رأياً على الرأي الآخر بشكل قاطع. فكل منهما له أسباب موضوعية لحكمه، ولكنه يستعرض دائمًا مسائل قابلة لأكثر من تفسير، ثم يحكم على هذه المسائل من وجهة نظر معينة فالعالم الإسلامي كذلك له وجهان.

إنني أوصي بعد هذا التبادل ـ المتخيل طبعًا ـ للملاحظات ألا ننحاز إلى العالم الإسلامي أو أن نرفضه تماماً؛ لأننا في آخر الأمر استطعنا أن نبلور عدة عناصر تثبت النظرية القديمة القائلة: إن النور ينبعث من الشرق. وسنصل إلى النتيجة نفسها إذا ما قارنا الشرق بعالم الكيف، والغرب بعالم الكم. هذه المقارنة التي قد يبدو فيها الكثير من السطحية، إلا أنها تخفي وراءها الكثير من الحقيقة. فالعلاقات الإنسانية ـ حتى علاقات الحب ـ في الغرب تحكمها قوانين السوق. فالكل سواء في الدولة

(٤٠) بالآية ١٨٥ سورة البقرة: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ وكذلك الآية ٢٨٦ سورة البقرة: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ .

(٤١) في الاية ١٠١ من سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

أو المجال الاقتصادي والثقافي والرياضي، حتى في العائلة والعلاقات الحميمية بين البشر، الكل يبغي تحقيق أقصى درجات الربح الممكنة في علاقاته، وتحسين الإنتاج عن طريق الرفع من مستوى الفاعلية والكفاءة.

فكل ما لا نستطيع ترجمته إلى أرقام لا قيمة له في الغرب، بل يتحول إلى شيء مبهم، غريب غير منطقي، بل إلى رفاهية.

وفي ظل هذا، يظل الشرق وبخاصة العالم الإسلامي (مأوى) وملاذاً للروحانيات، لمعرفة الله ولمعايشة المقدسات.

ويؤدي ذلك إلى إضفاء قيمة على أشياء ليس لها قيمة مادية في حقيقة الأمر كالوقت، والهدوء والسكينة، أن تستغرق في التأمل، أن تجلس في ظل شجرة، أن تستطيع أن تتناول كوبًا من الشاي أو فنجانًا من القهوة دون استعجال وفي وقته المناسب (مثل قهوة الصباح أو المساء)، أن تستمع بقصيدة ما، أن تستغرق في حديث عن الله أو مع الله. وإذا كان الأمر هكذا ـ وأنا على يقين من هذا ـ فليس الغرب هو من يستطيع وحده أن يقدم للشرق شيئًا، بل يمكن للشرق كذلك أن يقدم الكثير للغرب، ولكن هناك المعوقات لتحقيق هذا الأمر، وهذا ما سوف نتناوله في الفصل القادم.

❁ ❁ ❁

openkandil.com